عظماء في القرآن

أصحاب الكهف كانوا من أبناء ملوك الروم

هؤلاء الفتية ذكرهم الله ـ تعالى ـ في سورة الكهف. ولم يذكر أسماءهم لعدم أهميتها في مضمون القصة. وقد استهل الله هذه الآيات بقوله تعالى: (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا). أي ان قصتهم على غرابتها لا تعد عجيبة بالنسبة لقدرة الله جل وعلا، بل ان في مخلوقاته وبديع آياته ما هو أعجب منها. وقال: إن هؤلاء الفتية كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم، وانهم خرجوا يوما في بعض اعياد قومهم، وكانوا يعبدون الأصنام، والطواغيت، ويذبحون لها. وكان لهم ملك جبار يقال له دقلديانوس وكان يأمر الناس بذلك ويحثهم عليه ويدعوهم إليه. فلما خرج الناس لعيدهم، وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم، ونظروا الى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم.. عرفوا أن هذا الذي يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها لا ينبغي إلا لله الذي خلق السماوات والأرض، فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه وينحاز إلى ناحية. وتجمعوا بقدر الله تحت شجرة، وكانوا في أول الأمر خائفين من أن يفصحوا لبعضهم عما يجيش في صدورهم، ثم شرح الله صدورهم لذلك، واتفقوا على كلمة واحدة، وهي أن يتخذوا لهم معبدا يعبدون الله فيه، فعرف بهم قومهم فوشوا بأمرهم إلى ملكهم، فاستحضرهم بين يديه فسألهم عن أمرهم وما هم عليه. فأجابوه بالحق ودعوه إلى الله ـ عز وجل ـ فأبى عليهم وتهددهم وتوعدهم وأجلهم لينظروا في أمرهم لعلهم يرجعون عن دينهم الذي كانوا عليه. وكان هذا من لطف الله بهم، فإنهم في تلك المهلة توصلوا إلى الهرب منه والفرار بدينهم من الفتنة ثم آووا إلى كهف يستترون به عن أعين الناس ومعهم كلبهم الذي نام على بابه وكأنه يحرسهم. وقد بحث عنهم قومهم، ولكن الله أعماهم عن الوصول إليهم. نام هؤلاء الفتية في الكهف ليستريحوا من التعب، ولكن الله سبحانه وتعالى قدر لهم ألا يستيقظوا إلا بعد أكثر من ثلاثمائة سنة، وجعل الشمس تدخل غارهم لتطهره ولكن لا تصيب أبدانهم، وجعلهم يتقلبون لئلا يصابوا بما يسمى قرح الفراش، وألقى عليهم المهابة حتى إذا رآهم أحد أصابه الذعر فلا يستطيع القرب منهم. وكان الملك قد هلك خلال هذه الفترة وزال ملكه، وجاء بعده ملك صالح اسمه يندوسيس، ولما استيقظوا رأوا أنفسهم على الحالة التي ناموا عليها لم يتغير منها شيء. فلم يظنوا أنهم مكثوا كل هذا الزمن. فبعثوا أحدهم ليشتري لهم طعاما طيبا ببعض الدراهم الفضية التي اصطحبوها معهم، ونصحوه بمحاولة التخفي عن الأعين.. ففوجئ بأن كل معالم القرية قد تغيرت.. الأبنية والناس وكل شيء وتعجب البائع من هذه الدراهم الغريبة، وسأله عن حكايته فقصها عليه ثم انتشر الخبر في الرقية حتى وصل الى الملك، ويقال: ان الملك وأهل القرية حينما وصلوا إليهم وجدوهم قد ماتوا، فقرر أهل الرأي فيهم أن يبنوا عليهم مسجدا.

المهاجرون والأنصار

لقد أثنى الله كثيرا في كتابه الكريم على صحابة رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، وذلك مثل قوله تعالى: (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم) وقوله سبحانه: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) وقوله: (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون، والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون). وخص بالثناء والرضا أصحاب بيعة الرضوان. وسبب هذه البيعة أن رسول الله ﷺ خرج مع أصحابه في السنة السادسة من الهجرة متوجهين إلى مكة يريدون العمرة، وساقوا معهم الهدي ولم يخرجوا لقتال. فعلمت قريش فغضبت وعزمت على عدم السماح لهم بدخول مكة فبعث اليهم عثمان بن عفان ليخبرهم انهم ما جاءوا لقتال ولكن للطواف ببيت الله الحرام. فاحتبسته قريش عندها، فأشيع بين المسلمين انه قتل، فقال رسول الله ﷺ: «لا نبرح حتى نناجز القوم» أي نقاتلهم، فبايعه من كان معه من الصحابة على القتال حتى الاستشهاد وكان عددهم يفوق الألف وأربعمائة.

كانت هذه البيعة تحت شجرة بالحديبية، فعلمت قريش ما نوى عليه الرسول ﷺ وأصحابه فأطلقوا عثمان، وأرسلوا إلى الرسول يفاوضونه على أن يرجع هذا العام، ثم يأتي في العام الذي يليه. قال تعالى: (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا، ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما) أي ان الله علم ما في قلوبهم من الصدق والوفاء والسمع والطاعة فأنزل في قلوبهم الطمأنينة، وأثابهم فتحا قريبا، وهو ما يعرف بصلح الحديبية. وقد كان هذا الصلح في ظاهر الأمر مجحفا بالمسلمين، ولكن كان فتحا باعتبار ما فيه من المصلحة وما آل الأمر اليه. فقد كان رسول الله ﷺ مشغولا قلبه بما تشنه قريش من حروب عليه. فلما أمن جانبهم بهذا الصلح تفرغ للدعوة خارج المدينة. وأرسل سفراءه للملوك والرؤساء يدعوهم للدخول في الاسلام، وفتحت خيبر وتم تقسيم غنائمها على من حضروا صلح الحديبية، وفتحت مكة، وانتشر الاسلام في ربوع الأرض شرقا وغربا. قال تعالى: (إنا فتحنا لك فتحا مبينا، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما، وينصرك الله نصرا عزيزا).

أحباب الله

رسّامة

هنا حسام

هنا حسام تقول: احب الرسم خاصة رسم الاشجار والزهور وكل ما في الطبيعة من خلق الله تعالى واتمنى عندما اكبر ان تكون لي معارض للرسم في كل بلاد العالم وتظهر رسوماتي للنور، واحب ان اقول ان الرسم لا يشغلني عن دراستي فأنا دائما متفوقة في المدرسة الانجليزية في كل المواد واحافظ على المذاكرة.

طبيبة أسنان

ريم هارون

ريم هارون طفلة جميلة رقيقة متفوقة في مدرستها وتتمنى عندما تكبر ان تصبح طبيبة اسنان وبسؤالنا عن سبب اختيارها لتلك المهنة قالت لأن امي طبيبة نساء وابي طبيب امراض الرجال واحب ان اكون «وسط» لأن الاسنان منظرها جميل لو كانت متساوية وبيضاء ودائما يحدث فيها تسوس من اجل هذا اخترت هذه المهنة.

السيارات

يوسف أحمد

يوسف احمد يقول بعفوية كبيرة احب جميع السيارات الصغيرة والكبيرة وخاصة سيارات السباق، كما احب اللعب على الكمبيوتر ومعرفة الألعاب الصعبة وجدتي تساعدني وتحضر لي هدايا كثيرة خاصة السيارات وانا احبها جدا وهي تلعب معي وتشاركني في كل شيء احبه وتحكي لي قصصا جميلة ومؤثرة.

شيخ المسجد

محمد السعداوي

محمد السعداوي يحفظ الجزء الثلاثين من القرآن الكريم وبدأ في الجزء 29 يقول: امي حريصة على ان اقرأ يوميا كتاب الله وتقوم بتحفيظي وتسميعي بعد عودتها من عملها كما انني ملتحق بالمسجد المجاور لمنزلنا ويحفظني شيخ المسجد مع زملاء آخرين، وهذا التمسك بكتاب الله جعلني من المتفوقين.

زهد النبي ﷺ وبساطة عيشه

كان النبي ﷺ من أزهد الناس في الدنيا وأقلهم رغبة فيها مكتفيا فيها بالبلاغ، راضيا فيها بحياة الشظف، ممتثلا قول ربه عز وجل: (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) مع ان الدنيا كانت بين يديه، ومع انه اكرم الخلق على الله، ولو شاء لاجرى الله له الجبال ذهبا وفضة.

وقد ذكر الامام ابن كثير في تفسيره عن خيثمة انه قيل للنبي ﷺ «ان شئت ان نعطيك خزائن الارض ومفاتيحها ما لم نعطه نبيا قبلك، ولا نعطي احدا من بعدك، ولا ينقص ذلك مما لك عند الله، فقال: اجمعوها لي من الآخرة، فأنزل الله عز وجل في ذلك: (تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا) «الفرقان 10»، وخير الرسول ﷺ بين ان يكون ملكا نبيا او عبدا رسولا، فاختار ان يكون عبدا رسولا.

حياته

وأما حياته ﷺ ومعيشته فعجب من العجب، يقول ابو ذر رضي الله عنه: كنت امشي مع النبي ﷺ في حرة المدينة، فاستقبلنا احد، فقال: «يا ابا ذر: قلت: لبيك يا رسول الله، قال: ما يسرني ان عندي مثل احد هذا ذهبا، تمضي علي ثالثة وعندي منه دينار، الا شيئا ارصده لدين، الا ان اقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه، ثم مشى فقال: ان الاكثرين هم الاقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه وقليل ما هم». رواه البخاري، وكان من دعائه ﷺ: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا ـ وفي رواية ـ كفافا»، ودخل عليه عمر رضي الله عنه يوما، فاذا هو مضطجع على رمال وحصير ليس بينه وبينه فراش، وقد اثر في جنبه، قال عمر: فرفعت بصري في بيته، فوالله ما رأيت فيه شيئا يرد البصر، فقلت: ادع الله فليوسع على امتك، فان فارس والروم وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله، فقال: «أوفي شك انت يا ابن الخطاب، اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا»، وكان يقول: «ما لي وللدنيا، ما انا في الدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها»، وكان فراشه ﷺ من الجلد وحشوة من الليف.

طعامه

وأما طعامه فقد كان يمر عليه الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة اهلة، وما توقد في بيوت رسول الله ﷺ نار، وانما هما الاسودان التمر والماء، وربما ظل يومه يلتوي من شدة الجوع وما يجد من الدقل ـ وهو رديء التمر ـ ما يملا به بطنه، وما شبع ﷺ ثلاثة ايام تباعا من خبز بر حتى قبض، وكان اكثر خبزه من الشعير، وما اثر عنه انه اكل خبزا مرققا ابدا، ولم يأكل ﷺ على خوان ـ وهو ما يوضع عليه الطعام ـ حتى مات، بل ان خادمه انس بن مالك رضي الله عنه ذكر عن النبي ﷺ انه لم يجتمع عنده غداء ولا عشاء من خبز ولحم الا حين يأتيه الضيوف.

شهادة أصحابه

ولم يكن حاله في لباسه بأقل مما سبق، فقد شهد له اصحابه رضي الله عنهم بزهده وعدم تكلفه في لباسه وهو القادر على ان يتخذ من الثياب اغلاها، يقول احد الصحابة واصفا لباسه: اتيت رسول الله ﷺ اكلمه في شيء فاذا هو قاعد وعليه ازار قطن له غليظ، ودخل ابو بردة رضي الله عنه الى عائشة ام المؤمنين فأخرجت كساء ملبدا وازارا غليظا، ثم قالت: قبض رسول الله ﷺ في هذين الثوبين، وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت امشي مع رسول الله ﷺ وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية.

وان المرء ليقف متعجبا امام ما يذكره علماء السير من وصف لبيوت النبي ﷺ وقلة متاعها، فلم يكن فيها شيء يملا العين من الاثاث ونحوه، وما ذلك الا زهدا في الدنيا واعراضا عنها.

ولم يترك ﷺ عند موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا امة ولا شيئا الا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضا جعلها صدقة، قالت عائشة رضي الله عنها: «توفي رسول الله ﷺ وما في رفي من شيء يأكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي، فأكلت منه حتى طال علي «، ومات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي مقابل شيء من الشعير».

ان ما ذكرناه في هذه العجالة هو شيء يسير من اخبار امام الزاهدين وسيد العابدين ﷺ، وغيرها كثير لم يذكر، وستظل هذه الاخبار شواهد صدق على نبوته وزهده وايثاره ما عند الله عز وجل، وان فيها دعوة للامة وللاجيال المؤمنة للزهد في الدنيا والحذر من فتنتها، فلو كانت الدنيا دليل محبة الله لصاحبها، لفاز بها خير الخلق وأكرمهم على الله ﷺ.

أحياء عند ربهم

زيد بن حارثة.. حِبُّ رسول الله ﷺ

رجل أحب رسول الله ﷺ وأحبه الرسول ﷺ حبا جعله ينسبه اليه، وهو الصحابي الوحيد الذي ذكر بالاسم في القرآن الكريم لعظم شأنه والمناسبة التي ذكر فيها، وهي مناسبة تشريع يلغي عادة تعارف الناس عليها قبل الاسلام وآن الأوان لإبطالها ووضع علاقات الأبوة والبنوة في وضعها الصحيح.

انه زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب من قبيلة بني كعب، وكانت سعدى بنت ثعلبة في زيارة لأهلها من بني معن بن طيء، وما ان وصلت بابنها الى ديار أهلها حتى أغارت خيل لبني القين بن جاسر على أبيات بني معن وأخذوا زيدا معهم وهو في الثامنة من العمر أو أقل قليلا وباعوه في سوق عكاظ بمكة لحكيم بن خزام ابن أخي السيدة خديجة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ.

حب ووفاء

أهدى حكيم بن خزام زيدا لعمته خديجة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ التي وهبته بدورها لزوجها فتقبله منها وأعتقه وأفاض عليه في عطفه وحنانه الكثير، ولم يكن الوحي قد نزل بعد على النبي ﷺ، ولكنه كان يتنسك في غار حراء وكان زيد يرى من صفات النبي ﷺ وسجاياه ما يزيده به ارتباطا وحبا.

وفي احد مواسم الحج التقى زيد ونفر من قومه في مكة، فنقلوا اليه حزن والديه ولوعة أهله لفراقه فحملهم سلامه وحنانه وأشواقه لوالديه وقال لهم: أخبروا أبي اني هنا مع أكرم والد.

ولكن أباه ما ان سمع بوجوده وعلم بمكانه حتى صحب أخاه وذهب يجد السير الى منزل النبي ﷺ، وقد شجعهما على ذلك ما سمعها عن محمد الصادق الأمين، ولما التقيا به قالا: يا بني عبدالمطلب، يا بني سيد قومه أنتم أهل حرم تفكون العاني وتطعمون الأسير، جئناك في ولدنا عندك فامنن علينا وأحسن في فدائه فإنا سنرفع لك أي سنزيدك في الفداء حتى ترضى.

قال ﷺ: وما ذاك؟

قالوا: زيد بن حارثة.

قال ﷺ: أو غير ذلك؟

ثم قال ﷺ: ادعوه فخيروه فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء وان اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني فداء.

فدعوه، فلما حضر قال له النبي ﷺ: هل تعرف هؤلاء؟

قال: نعم هذا أبي وهذا عمي.

قال ﷺ: فأنا من قد علمت وقد رأيت صحبتي فاخترني او اخترهما.

قال: ما أنا بالذي أختار عليك أحدا، أنت مني بمكان الأب والأم.

فقالا: ويحك يا زيد، أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟

قال: قد رأيت من هذا الرجل شيئا ما أنا بالذي أختار عليه أحدا.

فلما رأى النبي ﷺ هذا الحب، وذلك الوفاء أخذ بيده الى حجر الكعبة وقال: اشهدوا ان زيدا ابني يرثني وأرثه.

فلما رأى أبوه وعمه ذلك طابت نفساهما وانصرفا وقد لمسا مقدار ما يلقاه ابنهما من رعاية وتكريم، ومنذ ذلك الحين ظل زيد بن محمد حتى حرّم الله التبني بقوله تعالى: (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم) (الأحزاب: 5) وقوله عز وجل: (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما) (الأحزاب: 40)، فعاد لزيد اسمه الأصلي: زيد بن حارثة.

طليعة المؤمنين

بعث النبي ﷺ فكان زيد رضي الله عنه في مقدمة من آمنوا به واتبعوه، وقيل انه اول من أسلم على الاطلاق، وقيل ان اول من أسلمت من النساء خديجة رضي الله عنها ومن الرجال أبوبكر رضي الله عنه ومن الفتيان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن الموالي زيد بن حارثة رضي الله عنه.

هذا الرجل الأسمر شديد السمرة أفطس الأنف الذي تربى في حجر نبي الانسانية ﷺ، كانت له سجاياه الحميدة التي ارتقت وتهذبت بما أضيف اليها من أخلاق النبي ﷺ، ثم ازدادت ارتقاء وسموا بالإسلام، وكان زيد بإجماع من عايشوه من صحابة رسول الله ﷺ رجلا ذا قلب عقول ونظر ثاقب وشجاعة نادرة، وكان أهلا للريادة والقيادة، لذا كان النبي ﷺ يقدره حق قدره ويقدمه في السرايا والغزوات، (د.محمد بكر اسماعيل: رجال أحبهم الرسول وبشرهم بالجنة، ص76).

زواج موثق بالقرآن

ومن شدة محبة النبي ﷺ لزيد ورغبته في تكريمه، زوّجه زينب بنت جحش رضي الله عنها وهي ابنة عمته: «ويبدو ان زينب رضي الله عنها قد قبلت هذا الزواج تحت وطأة حيائها ان ترفض شفاعة رسول الله ﷺ او ترغب بنفسها عن نفسه» (خالد محمد خالد، رجال حول الرسول، ص166) او كان في نفسها غضاضة من كون زيد من الموالي بينما هي من الأشراف.

وأيا كان الأمر فإن الحياة الزوجية أخذت تتعثر وتستنفد عوامل بقائها فانفصل زيد عن زوجه، وكان النبي ﷺ يشعر بمسؤوليته نحو الاثنين، زيد وزينب، ويرغب في ان يواسيهما ويتحرج في الوقت ذاته من ان يتزوج زينب فنزل قول الله تعالى (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا) (الأحزاب: 37)، فلما تساءل بعض المرجفين: كيف يتزوج النبي ﷺ من مطلقة ابنه نزل قوله تعالى: (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم).

القائد المجاهد

وتقديرا من النبي ﷺ لمواهب زيد وقدراته كان يقدمه في السرايا والغزوات، روى أبوبكر بن شيبة من السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: ما بعث رسول الله زيد بن حارثة في سرية إلا أمّره عليهم ولو بقي ـ أي زيد ـ لاستخلفه ـ أي يجعله خليفة على المسلمين ـ من بعده.

وأخرج البخاري عن سلمة بن الأكوع قال: غزوت مع النبي ﷺ سبع غزوات ومع زيد بن حارثة سبع غزوات يؤمّره علينا رسول الله ﷺ.

ومن السرايا التي قادها زيد بن حارثة سريته الى قردة في نجد في السنة الثالثة للهجرة في أعقاب غزوة بدر، وهي أول سرية أمّر فيها زيد، وبلغت مغانم المسلمين منها مغانم كثيرة، وفيها قال النبي ﷺ: «خير أمراء السرايا زيد بن حارثة، أعدلهم بالرعية وأقسمهم بالسوية».

ومن هذه السرايا سريته الى بني سليم في السنة السادسة للهجرة، وسريته في العام ذاته الى العيص على بعد اربع ليال من المدينة، وسريته الى الطرف في العام ذاته ايضا وهي تقع على بعد ستة وثلاثين ميلا من المدينة، ثم سريته الى مسمي وهي وراء ذات القرى وكانت بعد الحديبية ثم سريته في العام ذاته الى أم قرنة بناحية وادي القرى على بعد سبع ليال من المدينة ثم كانت سريته الى مدين.

فكل هذه السرايا انما كانت تنطلق من حب جارف لله عز وجل ولدينه ورسوله ﷺ ورغبة أكيدة في خدمة هذا الدين الحنيف والنبي الكريم ﷺ، وشوق للشهادة في سبيل اعلاء راية التوحيد.

طريق الشهادة

بهذه الروح كان زيد بن حارثة رضي الله عنه جديرا بثقة النبي ﷺ وبحبه وكان جديرا بأن يكون في مقدمة الثلاثة الكبار الذين اختارهم لقيادة جيش المسلمين في مواجهة جيش الروم في غزوة مؤتة.

كان الروم بإمبراطوريتهم الهرمة قد بدأوا يتوجسون من الإسلام خيفة بل صاروا يرون فيه خطرا يهدد وجودهم، لاسيما في بلاد الشام التي يستعمرونها وتتاخم بلاد هذا الدين الجديد المنطلق في عنفوان واكتساح، وهكذا راحوا يتخذون من الشام نقطة وثوب على الجزيرة العربية وبلاد الشام (رجال حول الرسول، ص167).

وكانت سرية مؤتة حلقة في سلسلة التحديات التي واجهتها الدعوة الاسلامية التي تشق طريقها في ارجاء الجزيرة وكانت هذه السرية في جمادي الأولى سنة ثمان للهجرة، فقد بعث رسول الله ﷺ الحارث بن عمير الأزدي أحد بني لهب الى ملك بصرى بكتاب، فلما نزل مؤتة وهي بأدنى البلقاء وهي دون دمشق عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم يقتل لرسول الله رسول غيره، فاشتد ذلك عليه وندب الناس فأسرعوا وعسكروا بالجرف، وهو موضع قريب من المدينة، وهم ثلاثة آلاف، فقال رسول الله ﷺ: «أمير الناس زيد بن حارثة، فإن أصيب أو قتل فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب فعبدالله بن رواحة، فإن أصيب فليرتض المسلمون رجلا فيجعلوه عليهم»، (الشيخ محمد متولي الشعراوي، غزوات الرسول، ص495).

وعقد لهم رسول الله ﷺ لواء أبيض ودفعه الى زيد بن حارثة وأوصاهم ان يأتوا مقتل الحارث بن عمير وان يدعوا من هناك الى الإسلام فإن أجابوا وإلا استعانوا عليهم بالله وقاتلوهم وخرج معهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف وودعهم، فلما ساروا في معسكرهم نادى المسلمين: دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين.

ومضوا الى مؤتة ووافاهم المشركون فجاء منهم ما لا قبل لأحد به من العدد والسلاح والكراع والديباج والحرير والذهب، والتقى المسلمون وهم ثلاثة آلاف فقط والمشركون والروم 200 ألف، وقاتل الأمراء على أرجلهم، فأخذ اللواء زيد بن حارثة رضي الله عنه فقاتل أشد وأشجع ما يكون القتال حتى قتل بالرماح، فحمل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه الراية وعرقب فرسه وقاتل حتى قتل، ثم حمل الراية عبدالله بن رواحة وقاتل ببسالة حتى لحق بهما في الشهادة.

وكما أحب النبي ﷺ زيد بن حارثة رضي الله عنه فإنه غمر بحبه ورحمته ابنه أسامة بن زيد رضي الله عنه، وكان ينظر اليه كما ينظر الى سبطيه الحسن والحسين رضي الله عنهما.